الفصل الخامس

الدولة الإخشيدية

(٣٢٣-٣٥٨هـ/ ٩٣٤-٩٦٨م)

الفصل الخامس

الدولة الإخشيدية

٣٢٣ - ٣٥٨هـ / ٩٣٤ - ٩٦٨م

يشبه قيام هذه الدولة إلى حد كبير قيام الدولة الطولونية السابقة من حيث أنه يعتبر مثلا واضحا للأحوال السياسية السائدة في ذلك العصر، كما يظهر إلى أي مدي اتسع نفوذ الأتراك وطال سلطانهم وامتد من القرن الثالث إلى آخر القرن الرابع الهجري، فقد انحدر مؤسس الدولة الإخشيدية من نفس العنصر، فأصل الإخشيديين أتراك من فرغانة، ويقال أن جدهم كان من ملوكها.

التحق أبو الإخشيد وهو طغج بخدمة الخليفة العباسي المعتصم، وفي عهد خمارويه ظهر هذا الضابط الفرغاني وتفاني في خدمة الدولة، فعين واليا على دمشق[١]، ولكنه كان يسعى إلى تحقيق أهدافه الخاصة، فلما بدأ نجم الدولة الطولونية في الأفول وبدأت قوات العباسيين تنتهز فرصة ثورة القرامطة لتنتقم من الطولونيين انضم هذا الضابط "طغج" إلى الجيش العباسي، الذي كان يقوده سليمان الكاتب، وكان عونا للعباسيين في مصر، فلما تم هذا الفتح عاد في ركاب الفاتحين إلى بغداد وتوفى بها[٢].

وكان لطغج سبعة أبناء ذكر منهم ابن سعيد خمسة هم: أبو بكر محمد، وأبو الحسين عبيد الله، وأبو المظفر الحسن، وأبو نصر الحسين، وأبو القاسم على[٣] وكان أكبر هؤلاء الأبناء هو أبو بكر محمد بن طغج، ولد ببغداد سنة ٢٦٨هـ/٨٨١م[٤]، وكما رأينا

(١) ابن خلكان: وفيات، جـ٢ ص ٥٤.
(٢) سيدة كاشف: عصر الإخشيديين، ص٦٥.
(٣) ابن سعيد: المغرب، ص٥.
(٤) ابن خلكان: وفيات، جـ١ ص٥٥.

أحمد بن طولون يرتقي درجات السلم في طريقه إلى ولاية مصر سنشهد بن طغج يسلك نفس الطريق ، وسوف نعرض خطوات الإخشيد نحو الهدف المنشود.

بدأ محمد بن طغج الإخشيدي حياته في مصر فقد اتجه إلى واليها تكين[١] ، وكأن العناية بعثته فى الوقت المناسب ، فقد جاء مصر والشعوبية المصرية على أشدها في الثورة على العباسيين ، والغزو الفاطمي يطرق أبواب مصر من الغرب.

استطاع الإخشيد أن يكون عدة والى مصر واشترك في رد الغزو الفاطمي على مصر بقيادة حباسة وأبلى بلاءا حسنا في القتال ، فقربه تكين وتوثقت صلته به حتى ظهر أمره[٢] ، وانتهى الأمر بأن أنابه تكين عنه في حماة وجبل السراة أثناء وجوده بالشام ، ولما عاد لمصر في ولايته الثانية ولاه تكين الإسكندرية ، هناك أتيحت لمحمد بن طغج فرصة الاشتراك في رد الفاطميين بقيادة أبى القاسم بن المهدى سنة ٣٠٧هـ/٩١٩م ، وولاه تكين أمر الحوف الشرقي والحوف الغربي ، وظهر أثناء ذلك حبه للمال ، فصادر الكثير من الأموال واستولى على العديد من التركات ، فأنكر عليه تكين ذلك وبدأت العلاقات تسوء بين الرجلين[٣].

كانت خطوة محمد بن طغج التالية هي كسب عطف كبار رجال القصر العباسي ، فسعي لدى أحد معارفه ببغداد وهو محمد بن جعفر القرطى حتى دبر له ولاية الرملة بالشام فخرج إليها سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م ، ولما علم الراشدى أمير الرملة بتقليد محمد بن طغج وبقدومه إليها بادر بالهرب وترك داره وأمتعته ، فوقعت كلها في يد محمد بن طغج[٤] ، وأراد بن طغج تحسين مركزه فساعده صديقه القرطى في بغداد حتى حصل على

(١) الكندى: الولاة، ، ص٣٠١.
(٢) ابن سعيد: المغرب ، ص٧.
(٣) ابن سعيد: المغرب ، ص٨.
(٤) سيدة كاشف: مصر في عصر الإخشيديين ، ص٦٣.

تقليد من الخليفة المقتدر بولاية دمشق سنة ٣١٩هـ/٩٣١م[١] ، وكان لابن طغج أصدقاء كثيرون في دمشق ، وكان محبوبا عند أهلها فرحبوا بتوليته.

أخذ ابن طغج يمكن لنفسه وكون قوة عسكرية يعتمد عليها في الصراع على السلطة ، وجمع إليه اخوته عبيد الله والحسن والحسين وعلي بنو طغج ، وأخذ يتحين الفرصة للحصول على ولاية مصر، واستطاع في النهاية أن يستصدر من الخليفة الراضي أمرا بضم مصر إلى ولايته بالشام.

رأى الإخشيد أنه لن يستطيع دخول مصر إلا بالقوة ، فجمع جنوده وضم إليهم من استطاع ضمهم من القواد والجند الذين وفدوا عليه من الشام والعراق والبادية ، وكان في مصر الماذرائى وأحمد بن كيغلغ فأرسلا جيشا إلى حدود مصر الشمالية الشرقية ليمنعا ابن طغج من دخولها ، حتى انتهى الأمر بأن دخل ابن طغج مصر وأخرج منها ابن كيغلغ ، وأرسل جزءا من جيشه في أسطول تمكن من الاستيلاء على دمياط وتنيس ، ثم التقى مع الماذرائى وابن كيغلغ بالقرب من سمنود ، وانتصر عليهم ودخل الفسطاط في شهر رمضان سنة ٣٢٣هـ/٩٣٤م[٢].

لم يكد الإخشيد يتولى أمر مصر حتى نهض محمد بن رائق للحصول على تقليد من الخليفة الراضي بإدارة جميع أمور الدولة ، واتسع سلطانه في الأقاليم المتآخمة لولاية الشام، وهدد الإخشيد في مصر ، إلا أن الإخشيد باغته وانتصر عليه وعمل على التقرب إليه ، فأرسل إليه الأموال ، وتصاهر الفريقان حيث زوج الإخشيد ابنته فاطمة من مزاحم بن محمد بن رائق[٣].

ثم توفي الخليفة الراضي سنة٣٢٩ هـ/٩٤٠م ، وخلفه أخوه المتقي بالله ، وقتل ابن رائق في العام التالي ، فسار الإخشيد ودخل دمشق سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م وضم الشام إلى

(١) سيدة كاشف: عصر الإخشيديين ، ص ٦٤ .
(٢) ابن سعيد: المغرب ، ص١٢.
(٣) سيدة كاشف: عصر الإخشيديين ، ص٩١.

ولايته[١] ، وقد أقره الخليفة المتقى على مصر والشام ، وبذلك استطاع محمد بن طغج الإخشيدي أن يحقق الاستقلال الواقعي والنظري بعد أن دانت له قوى الدولة ، واعترف الخليفة بولاية مصر وراثية في بنى الإخشيد ، وأقره على البلاد التي استولى عليها ، وكان هذا الاعتراف تسنده قوة الإخشيد الهائلة[٢].

حاول محمد بن طغج تقليد ابن طولون في جعل مصر مقرا للخلافة العباسية ، حيث دعا الخليفة المتقي إلى ترك بغداد والمجيء إلى مصر ، إلا أن المتقي لم يوافق على ذلك[٣] ، ومضى الإخشيد في تحقيق ما يريد فقد استطاع سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م أن يأخذ البيعة من قواده لابنه من بعده ، وحصل من الخليفة على موافقته على هذه البيعة ، وأصبح يدعو للخليفة ثم لنفسه ثم لولده من بعده.

وفي ذلك الوقت كان أمر بني حمدان في حلب قد اشتد وبدأ الصراع بينهم وبين الإخشيد ، الذي انتهى بانتصار الإخشيد[٤] ، واستمر محمد بن طغج في حكم مصر حتى توفي سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م[٥] ، وخلفه ابنه أبو القاسم أنوجور بعد أن ظل واليا على مصر إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر عن عمر يناهز ٦٦ عاما ، ودفن بالقدس[٦].

ترك الإخشيد دولة مستقلة وراثية تمتد حتى المشرق ، وكان أنوجور أكبر أولاده ، ولد في دمشق سنة ٣١٩هـ/٩٣١م ، وكان الإخشيد قد عقد لوليه ، وقرر أن تكون الوصاية عليهما لغلامه كافور ، ولذلك خضع أنوجور لوصاية كافور ، ولما بلغ سن الرشد حاول أن ينفرد بشئون الحكم ولكنه لم يتمكن لأن كافور كان متحكما في كل شئ ، وانقسم المنقسمون إلى كافورية موالين لكافور ، وإخشيدية موالين لأنوجور[٧].

---

(١) المقريزى: الخطط ، جـ١ ص٣٢٩.
(٢) سيدة كاشف: عصر الإخشيديين ، ص٥٤.
(٣) أبو المحاسن: النجوم ، جـ٣ ص٢٥٥ ، السيوطى: تاريخ الخلفاء ، ص١٥٩.
(٤) سيدة كاشف: عصر الإخشيديين ، ص٨٩.
(٥) ابن سعيد: المغرب ، ص٤٢.
(٦) ابن خلكان: وفيات ، جـ٢ ص٥٥.
(٧) أبو المحاسن: النجوم ، جـ٣ ص٢٩٢.

عقد صلح بين الطرفين إلا أن الأمر ظل في يد كافور يدير شئون البلاد حتى توفي أنوجور سنة ٣٤٩هـ/٩٦٠م ، ونقل جثمانه إلى القدس ودفن بجوار أبيه[١] ، وبعد ذلك نودي بأخيه علي بن الإخشيد أميرا على مصر وذلك باتفاق كافور وقواد الجند ورجال أبيه الإخشيد ، وكان يبلغ من العمر في ذلك الوقت ثلاثا وعشرين سنة[٢] ، وقد أقره الخليفة المطيع على ولاية مصر والشام والحرمين.

ظلت الأمور في يد كافور حيث كان المسئول عن إدارة البلاد وضمان خراجها أمام الحكومة المركزية[٣] ، وحاول علي بن الإخشيد إبعاد كافور عن تدبير أمور الدولة إلا أنه لم يفلح في تحقيق ذلك لضعف شخصيته وقلة أنصاره ، ووقعت الوحشة بينه وبين كافور الذي منع الناس من الاجتماع به إلا أنه مات سنة ٣٥٥هـ/٩٦٥م ، وحمل جثمانه إلى القدس أيضا ودفن إلى جوار أبيه وأخيه[٤] .

وبعد وفاة علي بن الإخشيد ظلت مصر أياما بغير أمير ، وذلك لأن كافور رفض أن يولى أحمد بن علي بن الإخشيد حيث كان صغير السن يبلغ من العمر تسع سنوات ، وانتهى الأمر بأن حصل كافور على تقليد بولايته مصر بعد وفاة علي بن الإخشيد ودعي له على المنابر واحتفظ بلقب الأستاذ أو المسك ، وكان يعرف أيضا باللابى نسبة إلى إقليم اللاب من بلاد النوبة ، وعرف كذلك بالليثى .

وكان كافور عبدا حبشيا أسود بصاصا قبيح الشكل ثقيل البدن مثقوب الشفة[٥] أتى مصر مع مجموعة من الرقيق السود الذين استكثر منهم الإخشيد وأدخلهم في جيشه واعتمد عليهم في تنفيذ مشروعاته ، وقد تقلب هذا العبد في وظائف الدولة حتى وثق به الإخشيد ، وقد استغل كافور هذه الثقة بعد وفاة الإخشيد معتمدا على قوة الجنود

(١) سيدة كاشف: عصر الإخشيديين ، ص٩٧.
(٢) الكندى: الولاة والقضاة ، ص٢٩٦، المقريزى: الخطط ، جـ١ ص٣٢٩.
(٣) سيدة كاشف: عصر الإخشيديين ، ص٩٩.
(٤) أبو المحاسن: النجوم ، جـ٣ ص٣٢٥.
(٥) المقريزى: الخطط ، جـ٢ ص٢٦،٢٧.

السودانيين ، ولم يترك للأمراء الإخشيديين من الأمر إلا الاسم فقط ، فكان يحول بينهم وبين الظهور للناس ويدفع بهم إلى حياة الفراغ واللهو[١].

كان كافور خبيرا بالسياسة فطنا ذكيا جيد العقل داهية ، إذ كان يهادى المعز صاحب المغرب ويظهر ميله إليه ، وكذا يذعن بالطاعة لبني العباس ، ويدارى ويخدع هؤلاء وهؤلاء[٢].

وكان كافور قد صان وحدة الدولة وحال دون النزاع بين الأحفاد إلا أنه ترك بعد وفاته هؤلاء الأمراء لا خبرة لهم بشئون الحكم ، فانهار البيت الحاكم بعد وفاته سنة ٣٥٧هـ/٩٦٧م ، حيث اجتمع رجال الدولة وولوا أبا الفوارس أحمد بن علي الإخشيد ، وكان في الحادية عشر من عمره ، ودعي له على المنابر ، ثم من بعده للحسن بن عبيد الله ابن عم أبيه وتولى أموره الوزير جعفر بن الفرات[٣] ، الذي أساء التصرف وصادر أملاك بعض الناس منهم يعقوب بن كلس ، وكان من الأثرياء ففر إلى المعز لدين الله وأخذ يحرضه على دخول مصر[٤] ، وكان الفاطميون لمصر بالمرصاد يتحينون الفرصة للاستيلاء عليها ، فتمكنوا أن يدخلوا مصر ويستولوا عليها ، وقبض على الأمير أحمد بن علي بن محمد الذي مات بعد فترة قصيرة – وكان عهده قد شهد فترة من الاضطرابات الداخلية ، حيث انقسم الجيش الإخشيدي على نفسه إلى أتراك وسودانيين ، بجانب اضطراب الأحوال الاقتصادية ، ولم تعد الدولة قادرة على دفع رواتب الجند مما سهل لسقوط البلاد في يد الفاطميين سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م.

(١) ابن سعيد: المغرب ، ص٤٣ ، سيدة كاشف: مصر في عصر الإخشيديين ، ص١٤٠.
(٢) أبو المحاسن: النجوم ، جـ٤ ص٦.
(٣) المقريزى: الخطط ، جـ١ ص٣٣٠.
(٤) أحمد عبد الرازق: تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، ص١٥٩.